أستاذ التاريخ والباحث في التراث القطري د. مصطفى عقيل في حوار الذكريات مع :

أهل قطر معروفون بالخير وكنت أجمع التبـــرعات في الستينيات للجزائر وفلسطين

جائزة الدولة التشجيعية حفزتنا.. وشكراً سمو الأمير الوالد

حوار أجراه: محمد علي المهندي

ولد في منطقة فريج الغانم القديم بالدوحة بتاريخ 10/25/ 1949، وعاش فيها فترة الخمسينيات من القرن الماضي حيث كان والده إمام وخطيب مسجد جامع أبو القبيب، عاش طفولته مثل أقرانه في الفريج ودرس الابتدائية في مدرسة ثم تحول للدراسة في المعهد الديني لدراسة المرحلة الإعدادية والثانوية وتخرج وعمل في سلك التدريس بمدرسة روضة راشد ومدرسة عثمان بن عفان، ثم درس على حسابه الخاص في جامعة الأزهر وتخصص في دراسة التاريخ، ثم حصل على الماجستير من جامعة عين شمس تحت إشراف الدكتور الضرير صلاح العقاد الحاصل على الدكتوراه من جامعة السوربون وكذلك الدكتوراه من جامعة عين شمس، يدين بالفضل للدكتور الضرير الذي كان خير عون وسند له، عمل معيدا بكلية التربية ثم مدرسا، وألف العديد من الكتب التي تعنى بشؤون منطقة الخليج وقطر، وكان أول دكتور قطري في التاريخ يدرس في جامعة قطر، وتقاعد عن العمل في عام 2010، وتم منحه جائزة الدولة التشجيعية.. الشرق زارته في منزله وتحدثنا في عدة محاور وكان هذا اللقاء.

جائزة الدولة التشجيعية

ولدت بتاريخ 10/25/ 1949م وترعرعت في فريج الغانم القديم وقضيت فترة الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن الماضي مع أقراني في الفريج نلعب ونتسلى بالألعاب الشعبية القديمة وندرس ونحفظ القرآن، وكانت فترة جميلة وحلوة ورائعة ونعيش حياة بسيطة، كان والدي هو خطيب وإمام مسجد أبو القبيب، وكان رواد مجلس الوالد هم مجموعة من كبار السن في الفريج من القطريين، كانت تجمعهم المودة والأخوة والمحبة.

كان والدي يملك محل خياطة بجوار سوق العسيري حاليا، وكان يرتاده مجموعة كبيرة من كبار السن لمناقشة أمور الدنيا ويستذكرون فيه الماضي، أذكر من بينهم محمد بن راشد العسيري الله يرحمه لأنه في تلك الفترة كان مسؤولا عن ردم المنطقة ودفنها لأن له أملاكا فيها.

ويعتبر مسجد (أبو القبيب) من المساجد التاريخية في قطر وهو مبني على الطراز العثماني التركي لدرجة أن أسطوانات المسجد (الأعمدة) كانت سميكة وعرضها "متر في متر"، ولو ما تم هدم المسجد لتم ميمه لاستمر أكثر من 300 أو 400 سنة لأن بناءه كان قويًا وفق هندسة معمارية على الطراز العثماني، ويتميّز بكثرة قبابه الجميلة.

وأتذكر كانت العمارات قديما هي عبارة عن بيوت قديمة وجميلة فيها الجص المزخرف وفي سقوفها نقوش ولها درايش (نوافذ) جميلة تستعمل كمخازن وتباع فيها جميع المواد أهمها الأخشاب مثل الدنجل والمنقرور والشولان والمربع والصبغ والحبال ومواد البناء والنجارة وغيرها من الحاجات التي يحتاجها المجتمع في تلك الحقبة الجميلة.

أتذكر كان السياح الأجانب يأتون للدوحة ويصورون تلك العمارات والمحلات،

وفي عام 1962 انتقلنا للإقامة في منطقة النجمة حيث انتقل الوالد كإمام وخطيب في مسجد (جابر الوالدة) في نجمة وعشنا فيها فترة طويلة، وكانت تربط الوالد علاقة قوية مع مشايخ وعلماء قطر وهم الشيخ بـــن محمود والشيخ عبد الله الأنصاري والشيخ بن حجر الله يرحمهم، وكان مجلس الوالد في تلك الفترة يرتاده مجموعة كبيرة من العلماء من جنسيات مختلفة وكان عبارة عن صالون ثقافي وأدبي ديني علمي، وهؤلاء العلماء أثروا في مسيرتي وزادت ثقافتي وكنا نستفيد من الجلوس معهم.

وقد تأثرت كثيرا برحيل الوالد الذي توفي رحمه الله في لندن في عام 1980 ولم يكن يرغب في إجراء عملية القلب، وقال لماذا تجبروني على السفر إلى لندن للعلاج لو كنت جلست في قطر أفضل، وسافر إلى لندن وتوفي أثناء إجراء العملية رغم أن تأكيدات الأطباء قبل إجراء العملية كانت تقول إن العملية ستنجح ولكن هذا أجل محتوم.

◄ دراستي من المعهد الديني إلى التاريخ

انتقلت إلى المعهد الديني مجبرًا بناء على رغبة الوالد ودرست الإعدادية وكنت من أيام الإعدادية شغوفًا بدراسة القانون ولكن أكملت المرحلة الثانوية بالمعهد الديني وكانت الدراسة قوية وصعبة فبالإضافة للمناهج العادية تضاف مناهج أخرى تعنى بشؤون الفقه وأصول الدين وكان معنا طلاب من كل الدول العربية والإسلامية، بعد التخرج من الثانوية، هناك قرار ملزم بالتدريس قبل الالتحاق بالجامعة، ودرّست الطلاب في روضة راشد وعثمان بن عفان.

◄ مواقف لا تنسى للقطريين

في أيام النكسة أو نكبة 1967 أتذكر كنت مسؤولا عن جمع التبرعات للمحتاجين مع زملائي النشطاء القطريين في مجال دعم المحتاجين والثورات ومساعدة الفقراء، ورغم الفقر كانت هناك مواقف لا تنسى فالقطريون حريصون على دعم الفلسطينيين بما تجود به أنفسهم لدرجة أن النساء يتبرعون بذهبهم الخاص والساعات والحلي والمال من أجل المساعدة ويدعون للمسلمين، كما أنني أذكر أنني أسهمت في جمع التبرعات لثورة الجزائر، وكنا ندعم الثورات العربية وذلك لتخليصهم من الاستعمار.

◄ نهضة فكرية في الستينيات

أيام الستينيات أتذكر كانت هناك في المدارس حركات ثقافية نشطة واحتفالات مدرسية ورياضية وكشفية ومشاركات ورحلات وزيارات، وكان يزورنا مجموعة من العلماء والدعاة والمشايخ والمثقفين كل حسب اتجاهاته، وكانت الأغاني الوطنية التي يبثونها أثناء طابور الصباح تحفزنا وتغرس في نفوسنا الدفاع عن الثورات وطرد المستعمرين، وكان المد الثوري قد امتد للخليج، وهناك حركة ونهضة كبيرة في المدارس التي كانت تشهد نقاشات كل يعبر عن رأيه واتجاهاته، وكنت أنا من ضمن المحايدين، وأذكر في المعهد الديني كانت تدور مناقشات وأفكار مختلفة منهم من يكون مع القوميين وثورة عبد الناصر ويرفعون صوره، وناتي في الصباح ويقوم الطرف المعارض الذين ينتمون للتوجهات الإسلامية بإزالة الصور وتحدث مناوشات خاصة أن المعهد الديني به تيارات واتجاهات مختلفة، كنا نتعايش مع الواقع العربي رغم قلة الاتصالات ونقوم بالمظاهرات في الشوارع دعما للثورات العربية.

◄ روضة راشد وذكريات أول سنة تدريس

بعد التخرج من المعهد الديني عام 1969 اتجهت للتدريس خارج الدوحة وبالتحديد في روضة راشد، كنت أذهب صباحا بالسيارة وأعود في المساء، وكان الطريق متعبًا ومرهقًا، وروضة راشد هي قرية صغيرة هادئة ووادعة، وليس بها كهرباء سوى في المدرسة وتسكنها جماعة كلهم أهل وأقارب وهم كرماء وشباب طيبون، وأتذكر أنهم في الصباح يحضرون لنا بعض الحيوانات البرية والزواحف مثل العقارب أو الثعابين أو الضب أو الثعالب وأتذكر أخذت ثعلبا إلى البيت وانتحر بسبب تغيير الأجواء، كما يعطونا الفقع واللبن واليقط وكانت العزايم دائمة، وأتذكر بعد تعييني بالجامعة جاءت مجموعة من الشباب من روضة راشد وسلموا علي وقالوا: شكرًا لك لأنك درست لنا، وقد غمرتني السعادة والفرحة عندما رأيت ما زرعناه وقد أثمر، وأتذكر درست في مدرسة عثمان بن عفان.

◄ مصر أحدثت تغييرا في حياتي

التحقت بجامعة الأزهر عام 1972م وشجعني على ذلك زميل دراسة ويدرس في الأزهر قبلي وأصبح سفيرا فيما بعد هو سعادة السفير ماجد العلي، وقد زودني بالكتب المقررة قبل الامتحانات ودرستها ونجحت في السنة الأولى بتقدير جيد قسم التاريخ والحضارة والذي شجعني هو تاريخ مصر القديم والحضارة الفرعونية ورغم صعوبتها لكنها جذبتني وشدتني، كنت في السنة الأولى أدرس على حسابي الخاص ولكن بعد سنة تم ضمي لبعثة الطلبة، في تلك الفترة كان الطلبة القطريون من خريجي المعهد الديني مستثنين من الدراسات التمهيدية بسبب قوة الدراسة فيها ومناهجها التي أغلبها من الأزهر.

وأتذكر من المواقف التي لا أنساها أن الشيخ عبد الله الأنصاري حملني رسالة إلى شيخ الأزهر عبد الحليم محمد الذي علم أنني مبعوث من الشيخ الأنصاري فرحب بي ترحيبا خاصا، وقال: هل أنت بحاجة لأي مساعدة؟ وكان دائما يسأل عني، وكذلك رسالة أخرى إلى الشيخ الغزالي وزير الأوقاف في تلك الفترة ووصلت له الرسالة وكان فرحا عندما عرف أنني من قطر وقد استقبلني بحفاوة، وقال: لقطر في نفسي مكانة كبيرة ومعزة خاصة ولأهلها وشيوخها وعلمائها.

وقد أنهيت دراستي الجامعية في الأزهر عام 1975 وعدت للدوحة وعينت مديرا لمدرسة علي بن أبي طالب الإعدادية وجلست ستة شهور، ثم عينت معيدًا في كلية التربية لمدة سنة، وقد شجعني أحد الأساتذة هو الدكتور رؤوف عباس وهو مشهور في التاريخ الحديث وقد نصحني بدراسة بعض الكتب العلمية في مجال تخصصي سواء العربية أو الإنجليزية ثم يناقشني فيها وقد أهّلتني هذه الدراسات لتقديم رسالة الماجستير.

◄ عين شمس منحتني الدكتوراه

في عام 1976 قررت دراسة الماجستير وقد اخترت جامعة عين شمس لأنها جامعة عريقة وفيها كبار أساتذة التاريخ المعاصر، وقد كان موضوع الرسالة "التنافس الدولي في الخليج (1622 – 1763)"، وقد وقع اختياري على الدكتور الكفيف صلاح العقاد خريج جامعة السوربون الفرنسية وكان في تلك الفترة من أفضل الأساتذة في مادته، وبدأت البحث في عدة مدن عالمية لها ارتباط بموضوع الرسالة، فذهبت لبريطانيا في مركز البحوث دار المحفوظات الهندية البريطانية وهناك أرشيف يحتوي على كل ما يحتاجه الباحثون.

كما سافرت للهند مدينة بومباي (مومبي حاليًا) ودلهي حيث يتواجد الأرشيف الهندي الذي يزخر بالكثير من الوثائق التي تتحدث عن تلك الحقبة الزمنية واستفدت منه ولم أجد صعوبة لأن لدي تصريح من الجامعة، ولكن كانت الصعوبة في الأرشيف التركي الذي تنتظر الموافقة منه لمدة ستة شهور بعد تقديم الطلب، وكانت هذه فترة طويلة بالنسبة لي، أخذت توصية من إحدى الشخصيات القطرية وقابلت إحسان الدين أوغلو الذي اتصل بمدير الأرشيف ولم يسمح بدخولي حسب القوانين ولكن وجد لي الحل المناسب الذي ساعدني على أداء مهمتي وهو أن أحضر لمكتبه ويخصصون لي مكتبا ومترجما يقرأ الوثائق باللغة التركية، وتحقق ما كنت أريده.

وبعد حصولي على الماجستير عدت للعمل في جامعة قطر قسم التاريخ، وبدأت الإعداد لنيل شهادة الدكتوراه وكان موضوع الرسالة (سياسة إيران في الخليج العربي في عهد ناصر الدين شاه القاجاري خلال الفترة من (1848 – 1896)، وكانت الرسالة تتطلب دراسة اللغة الإنجليزية والفارسية لكي تفيدني في البحث في الأرشيف الإيراني والإنجليزي، فعقدت العزم وتوكلت على الله وفي عام 1982 سافرت لعمل الرسالة في جامعة (درهام) الإنجليزية وتوجهت للأرشيف البريطاني، واستعنت بالكتب الإنجليزية التي حصلت عليها بصعوبة في إحدى المكتبات التي طلبت مبلغا كبيرا في شرائها، ولكن عندما عرف صاحب المكتبة أنني طالب استعرت الكتب وقمت بتصويرها وهذا موقف لن أنساه، كذلك الاستعانة بالأرشيف الإنجليزي الهندي، كما أنني سافرت إلى إيران وبحثت في الأرشيف ووجدت ضالتي هناك، استمرت الدراسة سنة كاملة ثم حولت دراستي للقاهرة عام 1984 في جامعة عين شمس عند الدكتور صلاح العقاد، وأكملت بحوثي الخاصة بالدراسة وحصلت على الدكتوراه عام 1986 في القاهرة.

◄ أهم مؤلفاتي

رغم أنني شاركت في العديد من البحوث والدراسات مع أساتذة أكن لهم كل التقدير والاحترام إلا أن مؤلفاتي الشخصية لها مكانة خاصة عندي وهي:

1 - الخليج العربي دراسات في الأصول التاريخية والتطور السياسي. 2 – التنافس الدولي في الخليج العربي (1622 – 1763). 3 – سياسة إيران في الخليج العربي في عهد ناصر الدين شاه القاجاري (1848-1896). 4 – قطر واتحاد الإمارات التسع في الخليج العربي (1968 -1971). 5 - تطور قطر السياسي من نشأة الإمارة إلى استقلال الدولة وغيره من البحوث والدراسات المشتركة.

◄ لقاء الأديب توفيق الحكيم

أتذكر لقائي مع الأديب توفيق الحكيم أيام كنت أعد رسالة الدكتوراه عام 1984 في القاهرة، كانت حلما وأصبحت واقعا، كان مريضا في مستشفى المقاولون، وانتهزت الفرصة وقمت بزيارته ونصحني الأطباء وقالوا لا تطول أكثر من عشر دقائق لأنه تعبان، دخلت عليه في الغرفة وعرفته عن نفسي ورحب بي ترحيبًا كبيرًا وجلسنا نتجاذب أطراف الحديث واستمرت الجلسة ساعتين، تناقشنا في عدة قضايا من ضمنها اتهامه أنه ضد النساء وقد نفى ذلك، وتطرقنا لبعض القضايا الدينية وقال: أنا مدين وكتبت عدة مسرحيات دينية ولي بعض الكتابات وحققت في خمسة أجزاء من تفسير القرطبي، ثم تطرقنا لمناقشة القضايا الثقافية الذي أخذت فترة طويلة، وسألته عن سبب اختلاف أصحاب القرار وبعض كبار المسؤولين عن السابقين وقال: إنهم لا يقرأون، وأضاف كان عبد الناصر يقرأ، والسادات شويه، وحسني مبارك لا يقرأ.

◄ عضو في اتحاد المؤرخين العرب

كنت عضوًا في اتحاد المؤرخين العرب الذي كان مقره في بغداد وكان نشطًا وقد كرمت بوسام الاستحقاق ضمن المؤرخين المكرمين، وبعد أزمة احتلال الكويت حصل انقسام، وبعد فترة تم نقله للقاهرة وكنت عضوا فيه، بالإضافة إلى أنني عضو في الجمعية المصرية للتاريخ.

وقد كنت من ضمن المؤسسين لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجي في عام 1995م، وقد دعت جامعة الكويت لعقد اجتماع شارك فيه أساتذة مهتمون بالتاريخ، ومنذ ذلك التاريخ وأنا عضو في الجمعية وقد تشرفت برئاسة الجمعية لفترتين لمدة أربع سنوات، كما كنت من ضمن أعضاء الهيئة الاستشارية لتحرير مجلة (ليوا) التي كانت تعنى بدراسة التاريخ والآثار وتراث الإمارات، وكذلك شاركت في عدة مجلات تعنى بالتاريخ.

◄ جائزة الدولة التشجيعية ختام لمسيرتي

أنا فخور جدًا بما تقدمه دولتنا الغالية قطر لأبنائها وعلمائها، وجائزة الدولة التقديرية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية كانت أفضل جائزة تمنح لي في ختام مسيرتي الطويلة لأنها تعتبر تقديرًا وتثمينًا للجهود التي بذلناها خلال مسيرتنا العلمية ومشوارنا الطويل وهي تتعلق بعملك ودراستك وتخصصك، وهذه الجائزة تعتبر تحفيزًا لي وكذلك للآخرين من بعدي، ومما زاد تقديري هو تسلّم الجائزة من يد القائد الأمير الوالد صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أطال الله في عمره، الذي له مكانة كبيرة في قلوبنا خاصة أنه من جيلنا، كما أنه أحدث في قطر طفرة كبيرة وقفزة نوعية وأصبحت لقطر مكانة وسمعة ونكن له كل التقدير والاحترام.

تصوير: سيد عمر

الوالد كان خطيبا وإمام مسجد أبو القبيب ومجلسنا في نجمة كان ملتقى العلماء

درست في المعهد الديني بناء على رغبة والدي وكانت أمنيتي دراسة القانون

مع الزميل محمد المهندي في مكتبته

كان الطلاب يجلبون الضب والعقارب

تأليفي للكتب كان لإجراء البحوث والدراسات وتزويد المكتبات بمواضيع جديدة

من مؤلفاته

مع أحفاده

تكريم الدكتوراة في جامعة قطر

مع الزملاء في نادي الطلبة في القاهرة

الوالد - الشيخ عقيل

من الطفولة

تخرج ابني أحمد من جامعة ليدز